



إعجاز وفضل القرآن الكريم

(034) سورة سبأ

اللقاء الأول من تفسير سورة البقرة | شرح الآيات 1-3

2024-12-01

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً، اللهم أرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيّيعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات الثّرات، وبعد:

مع اللقاء الأول من لقاءات سورة البقرة، سورة البقرة سورة مدنية، أي هي مما نزل بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، آياتها مئتان وست وثمانون آية، وهذه السورة الكريمة قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقراءتها وسماها مع سورة آل عمران الزهراوان، فسورة البقرة تطرد البطلة أي السحرة وقراءتها بركة

{ اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَافِعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا كَأَمَّاتَانِ أَوْ عَيَّاتَانِ

أَوْ فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا، اقْرَأُوا الْبَقْرَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا خَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ. }

(أخرجه مسلم والطبراني وأحمد)

الفرق بين السور المدنية والسور المكية:

فهذه السورة لها فضل عظيم، وعندما نقول سورة البقرة سورة مدنية، فإننا نعني بذلك أنها نزلت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلمون جميعاً أنّ السور المدنية لها طابع يختلف عن السور المكية، معظم السور التي نزلت قبل الهجرة، السور المكية والآيات المكية تتحدث عن الله تعالى، عن الأمر، تتحدث عن الجنة والنار، تتحدث عن آيات الله تعالى في الكون، تتحدث عن الثواب والعقاب، الآيات المكية في مجملها جاءت لتعريف الناس بالأمر بالله تعالى، أمّا الآيات المدنية فجاءت فيها الأحكام، لا تجد في السور المكية إلا نادراً حكماً شرعياً تفصيلياً، أمّا السور المدنية فمليئة بالأحكام التفصيلية، يعني مثلاً سورة البقرة فيها أحكام الطلاق مفصلة، فيها أحكام الحج والعمرة، أحكام الرضاع، فيها أحكام الرهن، فيها أحكام الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْئُومٍ فَادْعُوا اللَّهَ عَالِمُ السُّهُبِ وَيَتَّقُوا اللَّهَ الرَّبَّ وَلَا يَخَسِرْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ إِلَيْهِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَن تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا تَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ آجَلِهِ ذَلِكُمْ أَوْفَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۗ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاصِرَةٌ تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا بُضَاءَ كَاتِبٍ وَلَا شَهِيدٍ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ وَبُوعَلَمِكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِم (282)

(سورة البقرة)

أطول آية في القرآن تتحدث عن الدين وتفصيله، فالسور المدنية عموماً فيها أحكام، والسور المكية تكاد تخلو من الأحكام، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أن الإنسان في أول الأمر يجب أن يتعرف إلى الأمر ثم يتعرف إلى الأمر، فمن تعرّف إلى الأمر ثم تعرّف إلى الأمر، فإنه يُبادر إلى طاعة الأمر، لكن من يتعرف إلى الأمر فقط دون أن يعرف من أمره بهذا الأمر، فإنه يتفتن بالتفتن من هذا الأمر، العبرة بمعرفة الأمر.

معظم السور المكية جاءت لتعرف الناس بالله الأمر:

سأضرب مثلاً: اليوم إذا سألت ملياري مسلم في الأرض، عدد المسلمين في الأرض اليوم يقترّب من مليارين، لو سألتهم جميعاً ما حكم الصدق؟ أو أسألهم ما حكم الكذب؟ لا أعتقد أن واحداً في الأرض يقول لك الكذب حلال، أو مُباح، أو مندوب، أو واجب، شيء مُضحك! كل المسلمين يعلمون أن الكذب حرام، إذا نظرت في واقع المسلمين تجد أن كثيراً من المسلمين يكذبون، يتعرّض لموقف يكذب، يتكلم بخلاف الحقيقة، لماذا يكذب؟ هل لأنه لا يعرف أن الكذب حرام؟ لا، يعرف فلماذا يكذب؟ يعني لو فكرنا في الأمر أيديولوجياً كيف وصل إلى أن يكذب؟ كيف يكذب؟ يكذب لأنه لا يعرف الأمر، يعني لا يعرف أن الله تعالى العظيم هو الذي أمره بالصدق ونهاه عن الكذب، فلذلك يكذب، فالمسلمون لا ينقصهم معرفة الأمر، لكن كثيراً ما ينقصهم معرفة الأمر، لذلك معظم السور المكية جاءت لتعريف الناس بالله، ثم جاءت الأحكام في المدينة، بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن ثبت الإيمان في النفوس، وهذا المعنى عبّرت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت:

{ إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الْكَفَىٰ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَبِحَاكِ! وَمَا يَصُرُّكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَيْنِي مُصْحَفَكَ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أَوْلَفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُفْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفِي، قَالَتْ: وَمَا يَصُرُّكَ أَيُّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا تَرَلَّ أَوَّلَ مَا تَرَلَّ مِنْهُ سُورَةُ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ تَرَلَّ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ تَرَلَّ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا تَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ تَرَلَّ: لَا تَرَلَّ: لَا تَرْتَابُوا، لَقَالُوا: لَا تَدْعُ الرِّثَا أَبَدًا، لَقَدْ تَرَلَّ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ الْعَبْدِ: {بَلِ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ} [القمر: 46]، وَمَا تَرَلَّتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ، فَأَمَلْتُ عَلَيْهِ { آيِ السُّورِ. }

(صحيح البخاري)

المُفَصَّلُ السور القصيرة في جزء عمّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1)

(سورة الانشقاق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انقَطَرَتْ (1)

(سورة الانقطار)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1)

(سورة النبأ)

سور من المُفَصَّل فيها ذكر الجنة والنار، قال: (حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ تَزَلَّ الْخَلَالُ وَالْحَرَامُ) نزل ولا تزنوا ولا تشربوا الخمر، يعني نزلت الأحكام التشريعية التي تنهى عن الزنا، وتنهى عن شرب الخمر قالت: (وَلَوْ تَزَلَّ أَوْلَىٰ نَسِيءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا تَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ تَزَلَّ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا تَدْعُ الرِّثَا أَبَدًا) فإذا لقا عرفوا الأمر، وعرفوا ما أعدَّ الأمر لمن أطاعه، وما أعدَّ الأمر لمن عصاه التزموا بالأمر، لكن إذا جاء الأمر دون أن نفقه ونعلم من هو الله تعالى الذي يأمرنا، فإن الإنسان يجد مئة سبيل وسبيل ليتفلسف من أمر الله.

من إعجاز القرآن الكريم الحروف المُقطَّعة:

سورة البقرة سورة مدنية، جاءت فيها أحكام تفصيلية تشريعية، بدأت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)

(سورة البقرة)

(الم) حروف مُقطَّعة هي أسماء للحروف، نحن ننطق الحرف وننطق اسم الحرف، فنقول باء ونقول أُب، الباء اسم الحرف وأُب هو المُسمَّى، إذا قال إنسان بسم الله، فيها باء وسين وميم لكن نلفظها بسم، فالحرف له اسم وله لفظ، هنا جاءت الأحرف (الم) جاءت أسماء الحروف، بنفس الكتابة في بداية سورة الشرح:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1)

(سورة الشرح)

لا نقول في بداية الشرح ألف لام ميم نشرح لك صدرك، نقول: (أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) فهناك نلفظ المُسمَّى، وهنا نلفظ الاسم لأنه وحي من الله، فعندما جاء الوحي (الم) قرأها النبي صلى الله عليه وسلم ألف لام ميم، وعندما كان الوحي (أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

(سورة الفيل)

قرأها كذلك وهذا من إعجاز القرآن، هنا جاءت الأحرف في البداية (الم) أحرف مُقطَّعة، يُلقط كل حرفٍ وحده، ألف لام ميم في ست سور بدأت (الم) وهناك سوُر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۚ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1)

(سورة الرعد)

وهناك سوُر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
المص (1)

(سورة الأعراف)

وهناك سوُر حرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طه (1)

(سورة طه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يس (1)

(سورة يس)

وهناك أكثر، خمسة حروف في بداية مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كهيعص (1)

(سورة مريم)

هذه الأحرف المُقطَّعة كلها بدأت بها سور من القرآن، ومنها الحواميم (حم)، هذه الأحرف المُقطَّعة سرُّ من أسرار إعجاز القرآن، لعلها من براعة الاستهلال، العرب كانوا إذا أرادوا أن يتكلموا، يستهلون كلامهم بأشياءٍ محددة، يعني كان الشاعر إذا أراد أن يكتب قصيدةً في الشعر، يبدأها بالغزل، هكذا عادة العرب بالغزل العفيف.

أو يبدأها بالوقوف على الأطلال

يتكلم عن الأطلال، يعني الأماكن التي كان يحيا وأصبحت أترأ بعد عين، يبدأ بالأطلال، هذا من براعة الاستهلال عند العرب، جاء القرآن بطريقة جديدة في براعة الاستهلال، يُعطيه حُرْفٌ مُقطَّعة قد صيغ منها القرآن الكريم (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ) الكتاب الذي بين أيديكم القرآن الكريم، مصوغ من هذه الحروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً، لكن صاغ منها القرآن هذه الصفحات الستمائة بأبلغ إعجاز، والحروف بين أيديكم، فكل إنسان مثا بين يديه الحروف، كل عربي يستطيع أن ينطق بنمائية وعشرين حرفاً، من الهيرة والباء والتاء والياء والعين والحاء والعين وإلى آخره، الحروف العربية أو الأبجدية "أبجد هوز حطي كلمن" موجودة بين يدي جميع الناس، واحد من الناس يصوغ منها أعذب أنواع الشعر، والتأني يصوغ منها كلاماً عاماً، والثالث يصوغ منها درساً علمياً، والرابع يصوغ منها درساً أدبياً، والحروف نفسها، والقرآن الكريم صاغ من هذه الحروف، الله تعالى جلَّ جلاله، هذا كلام الله، ما أعجز العرب أن يأتوا بمثله، ما استطاعوا أن يأتوا بمثله، وتحداهم به فما استطاعوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ قُلْ فَأَنزِلُوا عَشْرَ سُورٍ مِّثْلَهُ مُعْتَرِبَاتٍ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13)

(سورة هود)

في سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)

(سورة البقرة)

سورة واحدة فقط (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) هذا تحدي المستقبل، فالله تعالى تحدى العرب بلغتهم (الم) لغة العرب (حم) حروف عربية، هذه الحروف بين أيديكم، يعني المواد الأولية موجودة، يعني للطرفة فقط، ممكن أن تأتي بأنواع من الطعام، كوسا ولحم وبصل، ونضعهم بين يدي امرأة تحسن الطبخ، فتصنع منهم طعاماً طيباً لذيذاً، ممكن أن نضعهم بين يدي امرأة أخرى لا تحسن الطبخ، فتصنع منهم طعاماً لا يؤكل، والمواد الأولية واحدة، (الم) هي المواد الأولية التي هي حروف اللغة العربية، فانظروا إعجاز القرآن في صياغة هذه الآيات من تلك الحروف، فالقرآن عربي.

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ولا يستطيع البشر أن يأتيوا بمثله:

(الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ) الكتاب هو القرآن الكريم، وهذه ال للعهد، يعني الكتاب المعهود في الأذهان الذي تعرفونه، والقرآن الكريم يسمى الكتاب تارةً بالقرآن وتارةً بالكتاب، القرآن لأنه مفروءٌ ومحمفوظٌ في الصدور، والكتاب لأنه مكتوبٌ ومحمفوظٌ في السطور، فالكتاب مكتوب، والقرآن مفروء، وكتابنا القرآن الكريم مكتوبٌ في السطور محفوظٌ في الصدور.

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) أي لا شك فيه، يعني لا يمكن أن يلحقه ريب، لا في مصدره ولا في مضمونه، في مصدره هو كلام الله تعالى لا ريب في ذلك، لأنه لا يستطيع البشر أن يأتيوا بمثله، فيه من الإعجاز في اللغة، وفي التشريع، وفي الإعجاز العلمي، وغير ذلك من أنواع الإعجاز، ما يجعل الإنسان يتيقن أن هذا القرآن كلام الله تعالى، ثم هو معجزٌ في مضمونه، لا ريب فيه في مضمونه، كل كتاب من كتب البشر، يُطبع الطبعة الأولى ثم يظهر فيه بعض الأخطاء، فُتستدرك في الطبعة الثانية، ثم تظهر أخطاءً أخرى فُتستدرك في الطبعة الثالثة، وأبى الله العصمة إلا لكتابه، فلا يوجد كتابٌ في الأرض إلا ويتعرض للنقد والتمحيص ويُعجب ولا يُعجب، وهذا يقول فيه مشكلة في اللغة، وهذا يقول فيه مشكلة في طباعية وغير ذلك، إلا كتاب الله، فإن الله تعالى جعله خالياً من الشكوك والريب، طبعاً للعقول المنصفة، يعني قد تجد إنساناً بعيداً منحرفاً يريد أن ينال من كتاب الله، لكنه لا يستطيع، يعني لا نقول القرآن محفوظٌ بمعنى أنه لا تجري محاولات للنيل منه، ولكنه محفوظٌ بمعنى أنه لا تنجح المحاولات التي تحاول النيل منه، حاولوا أن يطبعوا بعض النسخ في بعض البلاد، ويحرقوا كلمةً أو كذا ثم أتلفت هذه المصاحف وحُفظ القرآن، حاول البعض أن يتجهج على بعض الكلمات لجهله باللغة العربية، ويتكلم فيها، ولكن تبين عوره وبين العلماء صلاحه.

القرآن الكريم لا يمكن أن يأتيه الباطل ولا يستطيع أحد أن يجد فيه خطأً واحداً:

فهو (لا ريبَ فيهِ) بمعنى أنه إذا كان إنسان متجرد للحقّ وقرأه ليجد فيه الهدى، فإنه لا يمكن أن يجد فيه خطأً واحداً (لا ريبَ فيهِ).

أحد العلماء الأمريكيين جيفري لاند، هذا ألف كتبٌ عديدة، وأصبح داعياً للإسلام في فلوريدا في أمريكا، هذا الرجل جاءته طالبة من الشرق الأوسط مُحجّبةً جاباً إسلامياً، فلفت نظره حجابها، فعكف على قراءة القرآن يبحث عن خطأٍ فيه، لعله يجد في القرآن خطأ، ثم إنه وقع على قوله تعالى يُخاطب فرعون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَالْتَوَمَّ نُنَجِّيكَ بِدِينِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن آيَاتِنَا لَٰغَافِلُونَ (92)

(سورة يونس)

فاتصل بصديقه موريس بوكاي صديقه الفرنسي، وقال له تزعمون أنّ هذا القرآن كلام الله، وقد وجدت آيةً تتحدث، وهو قرأ ترجمتها طبعاً، بأنّ الله نجّى فرعون بدينه يعني جسمه، أين فرعون؟! فقال له موريس بوكاي: هذا الذي تحدّثت عنه الآية، قد رُفِّمت جنته بنفسه، لئلا أصبح في أنف هذا الطاغية فرعون نخزٍ ورتوبة وعفونة، أخذ إلى فرنسا واستقبل هناك استقبال الملوك، ثم رُفِّمت جنته وأعيد إلى مصر، فقال له: أنا رُفِّمت جنته، وهو عالم أثار موريس بوكاي، وبعدها أسلم جيفري لاند، وعكف على القرآن والدعوة إلى الله، وألف عدة كتب في الدعوة، وأولها كان الصراع من أجل الإيمان، وُترجم إلى العربية في دمشق.

فذكر موريس بوكاي أنّ هذا القرآن لا يمكن أن يأتيه الباطل، لأنه أراد أن يقرأه في البداية بروح المُتشكك، ثم آمن به إيماناً لا يُخالطه شكٌّ.

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) ممكن أن نفق فنقول (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ) يعني لا شك، ثم نقول: (فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ويمكن أن نقرأ (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) وكلاهما صحيح، وهذا أيضاً سرٌّ من أسرار القرآن في الوقف والابتداء، فيعطي معنىً جديداً، فلو قلنا (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ) أي ذلك الكتاب لا شك أبداً في أنه الكتاب، ثم نقول (فِيهِ) أي في القرآن (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ولو قلنا (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) أي لا شك في مضمونه ثم هو (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ).

القرآن الكريم كتاب هداية هدفه أن يهديك إلى الله:

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) هذا القرآن كتاب هداية، يمكن أن نقول إنَّ فيه إعجازاً علمياً، ممكن، ويمكن أن نقول إنَّ فيه أخباراً عن الماضيين، ممكن، يمكن أن نقول إنَّ فيه إنباءً بالمستقبل ممكن، ممكن أن نقول إنَّ فيه ذكراً لبعض النواحي البلاغية والإعجازية في اللغة، أكيد لأن القرآن عربيٌّ مبين، لكن ما الهدف الرئيس من القرآن الكريم؟ هو كتاب هداية (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) فالهدف من هذا القرآن أن يهديك إلى الله، أن يهديك إلى الصراط المستقيم، أن يهديك إلى المنهج القويم.

من هم المتقين؟ وما صفاتهم؟

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) من المتقون؟ المتقون من مادة وقى في اللغة العربية، وقى واتقى أي جعل بينه وبين الشيء وقايةً، فلو كانت أمامي نازةً مشتعلَةً، وأردت أن أتقي حرَّها، فإنني ربما أضع يدي على جبهتي، أو ربما أضع يدي بيني وبينها حاجزاً راجحاً حتى لا يصل وهج النار إلي، فأنا اتقيتها، أي جعلت بيني وبين الشيء الذي أخشاه وقايةً، والمتقي هو الذي يتقي النار، ويتقي غضب الله تعالى، فيأتي بما أمر الله، وينتهي عمَّا نهى الله عنه، فهو يتقي الله ويتقي عذابه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

(سورة البقرة)

أول صفات هؤلاء أنهم يؤمنون بالغيب، نحن أمام عالمين، عالم الشهادة وعالم الغيب، كل ما أدركته بحواسك فهو شهادة، وكل ما غاب عن حواسك فهو غيب، الآن أنا أشاهد أمامي هذا الهاتف الذي أنقل إليكم عبره هذا اللقاء الطيب، هذا شهادة، أشاهد أمامي طاولة هذا شهادة، أسمع صوتاً هذا شهادة، المس يدي شيئاً هذا شهادة، أشمُّ رائحةً هذا شهادة، أسمع وأبصر وأشمُّ وأتكلّم هذا كله عالم الشهادة، وهناك حواسٌ غير الحواس الخمس، لكن العلماء هذه الحواس الخمس هي أشهر الحواس، يوجد حواسٌ أخرى غير الخمس، يعني سأضرب مثلاً: لو أنّ أمامك حقيبتين، والحقيبتان بنفس الشكل تماماً، ونفس الحجم تماماً، ثم جئت وأردت أن أعرف أيهما أثقل من الأخرى فماذا أصنع؟ أرفع الأولى بيدي وأرفع الثانية، فأعرف أنّ هذه ممتلئة ثقيلة، وهذه فارغة، كيف عرفت؟ أحسست، كيف أحسست؟ لا تقل لي حاسة اللمس، ليس لمساً، اللمس أعرف أنه حقيبة، لكن كيف عرفت وزنها؟ من خلال العضلة، لأن العضلة شعرت بالتعب، لأن رفعت الثقيلة عرفت بأنها ثقيلة، ولأن العضلة لم تشعر بالتعب شعرت بأنها خفيفة، فهناك أشياء كثيرة تمثّرها في حياتنا بغير الحواس الخمس، وما يزال سرّها مجهولاً، لكن الإنسان يُميّز.

على كل حال، كل ما أدركه الإنسان بحواسه فهو من عالم الشهادة، لكن ما غاب عنه فهو من عالم الغيب، المؤمن يؤمن بالغيب، يعني بما غاب، لو أنّ إنساناً سمع صوتاً فقال أنا مؤمن أنّ هناك صوت، هذا ليس إيماناً لأنّ الصوت أدركته فأين الإيمان؟ لو قال لك أحدهم أنا أوّمن الآن أنك تجلس إلى جانبي، أين الإيمان؟ أنا جالسٌ بجانبك، هذا لا يحتاج إلى تصديق لأنه واقع، لذلك قالوا: ليس مع العين أين، يعني إذا إنسان رأى بعينه لا يقول أين، أين فلان؟ أنت تراه بعينك، فلماذا تسأل عنه فتقول أين؟! ليس مع العين أين، لكن إذا غاب الشيء تماماً عن حواسك فهو الغيب، والمؤمنون أول صفاتهم أنهم يؤمنون بالغيب.

الملائكة غيب، الجن غيب، اليوم الآخر غيب، الكتب السابقة غيب، الكتب الأساسية التي جاءت غير محرّفة غيب، الجنّة والنار غيب، نحن يؤمن بالغيب هذا سرُّ إيماننا، وهذا سرُّ الإيمان، وهذا هو الذي يدخل الناس الجنّة، وهذا هو الذي يجعلهم من المتّقين، أن يؤمنوا بما غاب عنهم، وهذا الذي يميّز المؤمن عن غير المؤمن، النظر كل الناس يؤمنون به، السمع كل الناس يؤمنون به، وإذا إنسان قال لا أوّمن وهو يرى فهذا يُشكُّ في عقله، وهناك أشياء يميّزها الإنسان بالعقل تحتاج إلى آثار.

يعني مثلاً: من ممّا رأى فيروس كورونا؟ لا أحد، لكن أمثاً به بسبب آثاره، رأينا شخصاً قد أصيب وضاق نفسه، سمعنا عن شخصٍ أُصيب وأدخل إلى المشفى ثم توفاه الله، أمثاً بالفيروس رغم أننا لم نره، هذا يحتاج عقل، لكن الغيب لا يوجد لا شيء نحس به بحواسنا ولا شيء نستدل عليه بآثاره، وإنما هو مطلق الغيب، لا نرى منه شيئاً، و نعلم عنه ما أخبرنا الله تعالى به، كل شيء غاب عنه وغابت آثاره فهو غيب، والله تعالى وصف المتّقين فقال في أول صفاتهم: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) ولن يؤمن إنسان الإيمان الكامل حتى يؤمن بالغيب.

قال أحد الصالحين: لقد رأيت الجنّة والنار، فقال له أصحابه انظر فيما تقول! والله ما رأى أحد الجنّة والنار عياناً، هل منكم أحد رأى الجنّة والنار؟ ما أحد، فقال: لقد رأيت الجنّة والنار، قالوا كيف ذلك؟! قال رأيتهما بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنّ النبي رأى الجنّة والنار ليلة المعراج، ورؤيتي لهما بعيني رسول الله، أصدق عندي من رؤيتي لهما بعيني، لأنّ بصري قد بربغ وقد يطغى أنا بصره صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17)

(سورة النجم)

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) هذا إيمانك أن تؤمن بالغيب، نحن لماذا نطيع الله؟ لأننا نؤمن بالغيب، الآن إذا جاء إحدائكم مبلغ ألف دينار من حرام، لماذا تقول الواحدة منك لا أريده؟ رشوة، لماذا؟ ولماذا الآخر يقبله؟ الذي لم يقبله مؤمن بالغيب، بأنّ الله سيعاقبه إن أخذه، والذي أخذه ما عنده إيمان بالغيب، للشهادة يؤمن، وألف دينار مبلغ جيد، فلماذا لا أخذه؟ أتمتع به، أشتري به بعض الحاجات، أفك به عسرتي، لماذا لا أخذه؟ المؤمن يقول أنا لا أكل مالا حراماً، لماذا قال أنا لا أكل مالا حراماً؟ لأنه يخشى عذاب الله.

النار ما هي؟ غيب، فمعظم تحركات المؤمن في الحياة، التي يترك فيها الحرام ويأتي فيها الحلال، ويتحرّج فيها رضى الله، ويمتنع فيها عن أذى الناس، كلها ناتجة عن الإيمان بالغيب، لذلك أول صفة للمتقين قبل إقامة الصلاة، وقبل الزكاة، وقبل الإيمان بالكتب، قال: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) إيمانهم بالغيب دفعهم إلى إقامة الصلاة، الآن إذا أدّن الفجر، لماذا أقوم من فراشي والدنيا شتاء؟ والماء ربما بارد، أقوم وأتوضأ وأقف بين يدي الله، والغرفة باردة ولا أخلد إلى النوم، غيري يغط في نوم عميق، لماذا قمت أنا؟ إيمان بالغيب، هو ما قام لأنه لا يؤمن بالغيب، أنا قمت لأنني أوّمن بالغيب.

الإيمان بالغيب دفعٌ إلى إقامة الصلاة:

(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) إذا جاءني ألف، لماذا أدفع منها خمس وعشرون زكاة؟ أقول هذه ليست لي هذه للفقراء، لأنني أوّمن أنّ الله سيضاعف لي، وأؤمن بأن الله سيحاسبني يوم القيامة، وأؤمن بانني إن لم أدفع هذه الزكاة فإنّ الله سيعاقبني، فهو إيمان بالغيب، لذلك الإيمان بالغيب دفعهم إلى إقامة الصلاة، دفعهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) دفعهم بالإيات التي بعدها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

(سورة البقرة)

(وَيَآخِرَةَ) غيب، (وَيَآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ) كل إيماننا وكل ديننا مبني على الغيب، فمن يؤمن بالغيب يعمل، ومن يؤمن بالغيب يتقي الله، ومن يؤمن بالغيب يقيم الصلاة، ومن يؤمن بالغيب يدفع الزكاة، ومن يؤمن بالغيب يؤمن بالكتب السابقة، ومن يؤمن بالغيب يؤمن بالآخرة، كل إيماننا غيب (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).

كل ما انتفعت به فهو رزق من الله:

(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) ليس المقصود المال فقط، لأن الإنسان يرزقه الله، فكل ما انتفعت به فهو رزق، العلم رزق، تنفق منه تُعلم الناس، الجاه رزق، تنفق منه بأن تتدخل لإصلاح بين متخاصمين، المنصب رزق، إذا مكنتك الله بمنصب تحق به الحق وتبطل به الباطل، رزق، الصحة رزق، إذا منحك الله عز وجل الصحة هذا رزق، فالرزق ليس المال فقط كما يتوهم الناس، يقول لك فلان رزقه قليل، كيف رزقه قليل والله أعطاه الصحة، والآخر أعطاه المال ومنع عنه الصحة، فالرزق هو كل ما انتفعت به، من صحة، من مال، من جاه، من علم، من قوة، من تواضع، من رحمة، من أمانة، من صدق، هذا رزق من الله عز وجل، الصادق هذا رزق من الله أنه يصدق، فكل ما أعطاك الله من مميزات هو رزق من الله.
قال: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) من للتبويض، أي لا ينفقون كل ما رزقناهم، الإسلام موضوعي واقعي، عندما أعطاك ألف، قال لك هناك فرض خمسة وعشرين ديناراً من الألف، فرض اثنان ونصف بالمئة، وإذا أردت صدقات أكثر ادفع ما تريد، لكن الفرض اثنان ونصف بالمئة، الخمس والعشرين ليست لك، تسعمائة وخمسة وسبعون لك، تنصرف بهم كيف تشاء، صدقة، إنفاق على الأهل، كل شيء حلال تصرف، لكن الخمس والعشرين هذه حق الفقير، لا تحق لك (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أي اثنان ونصف بالمئة، يعني ربع العشر، ليس واحد على عشرة، ربع العشر، فتخيّل أنّ المطلوب إنفاقه مثلاً في المال هو (مِمَّا) ونفس الشيء بالصحة، تمتع بصحتك وعافيتك لكن استخدمها في طاعة الله، أنفق منها في طاعة الله، جاهك، منصبك، قوتك، علمك، كله أنفق منه، وليس أنفقه كله (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) الرزق من الله، والمطلوب منك أن تنفق مما رزقك الله.

الصلاة هي الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال:

الإيمان بالغيب أولاً، الصلة بالله ثانياً، الصلاة هي الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال، الزكاة مرة في السنة، بالخول الهجري مرة واحدة، وتسقط عن الفقير الذي لا يملك النصاب، الصيام شهراً في السنة ويسقط عن أصحاب الأعذار، مرة مسافر، شيء بقضاء وشيء بلا قضاء، يسقط لكن له حالات يسقط بها عن بعض الأصناف من الناس، الحج مرة في العمر ويسقط عن الفقير الذي لم يستطع إليه سبيلاً، شهادة أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ندخل بها الإسلام ونغادر بها الدنيا، ما الفرض الوحيد المتكرر اليومي الذي لا يسقط بحال؟ الصلاة

{ الصلاة عماد الدين }

(الألباني ضعيف الجامع)

الصلاة معراج المؤمن إلى رب الأرض والسموات، إذا أردت أن تعرج إلى الله بالصلاة، عزّة الطاعات

{ عن عثمان بن أبي العاص: أن وفد ثقيف لمّا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ولا خير في دين ليس فيه

{ ركوع }

(سنن أبي داود)

{ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله }

(الألباني صحيح الترغيب)

{ كان آخرُ كلامِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاةُ الصلاةُ ! اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم }

(أخرجه أبو داوود وابن ماجه)

سيدنا عمر رضي الله عنه، يوم أُصيب وطعنه المجوسي أبو لؤلؤة عليه لعنة الله، واقتيد إلى بيته وترك الصلاة، وهو إمامٌ في الفجر، وقدّم من يصلي بالناس الفجر، لَمَّا أفاق قال لهم: هل صلى المسلمون الفجر؟ عمر في حالة الموت، هو علم أنه سيموت، قال: هل صلى المسلمون الفجر؟ قالوا نعم، قال: الحمد لله، ثم قال أجلسوني حتى يصلي هو، لأنه ما أتم صلاته، طعن أثناء الصلاة، فعصوا له جرحه وهو ينزف دماً وهو يصلي الفجر، فتحلّوا كم كان حرص المسلمين على أداء الصلوات في وقتها.

(وَيُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) إقامة الصلاة هي الحركة العمودية نحو الله، بالصلة الدائمة به، والإنفاق هو العلاقة الأفقية نحو المخلوقين بالإحسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)

(سورة المائدة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2)

(سورة الكوثر)

(فَصَلِّ لِرَبِّكَ) صلُّ بالله **(وَانْحَرْ)** من أجل الإحسان إلى الناس، أطعم الناس من اللحم، كل ديننا بعد الإيمان بالغيب، صلُّ بالله وإحساناً إلى المخلوقين، نكتفي بهذا القدر، والحمد لله رب العالمين.